امرأة صمدت
أمام العاصفة
كبكوبة وحكاية
A KNITTED STORY

مرحبًا، أنا خولة، امرأة من ريف دمشق منطقة الزبداني ، وسأروي لكم قصتي، لا أظن أن قصتي مختلفة عن آلاف القصص التي خلفتها الحرب، ولكنها قصتي، وما يجعلها خاصة بالنسبة لي هو أنني نجوت... وصمدت رغم كل شيء.....

نشأت في ريف دمشق "الزبداني" ، بين الحقول والبساتين والجبال ،كانت حياتنا بسيطة، لكنها كانت مليئة بالحب والدفء، لم يكن لدينا الكثير، لكن كنا نملك ما يكفي لنعيش، تعلمت من والدتي كيف أستخدم يديَّ في الحياكة والكروشيه، وكانت تلك المهارة ترافقني كظلّي طوال حياتي

وكأي طفلة، كنت أحلم بأن أستمر في الدراسة وأصبح معلمة أو طبيبة، لكن الأوضاع الاقتصادية لم تكن تسمح، وكان عليّ أن أتخذ قرارًا صعبًا وأنا ما زلت صغيرة، ولذلك تركت المدرسة، تركتها وأنا أشعر بغصة، لكنني كنت أعلم أن هناك شيئًا ينتظرني خارج أسوار التعليم التقليدي

خيوط الأمل الأولى

بدأت أتعامل مع الكروشيه ليس كهواية، بل كوسيلة للعيش، كنت أجلس لساعات طويلة بين الخيوط والإبر، أصنع القبعات والشالات التي كنت أبيعها لأعين عائلتي..

في البداية، كان الأمر بسيطًا، مجرد حرفة صغيرة تدر علينا بعض المال، لكن مع مرور الوقت، تحولت تلك الخيوط بين يدي إلى نافذة أمل تطل على عالم أكبر

وأستنتجت أن العمل اليدوي له قدرة عجيبة على ملء الفراغات في الروح، كنت أغرق في التفاصيل، في كل غرزة، وكانت هذه المهنة تمنحني شعورًا بالسلام الداخلي، حتى وسط الفقر وضيق العيش

عندما بلغت الخامسة والعشرين، جاء الحب إلى حياتي، تزوجت من سمير، رجل طيب القلب من قريتنا، لم يكن يملك الكثير، لكن كان لديه قلب محب وروح متفائلة، وهذا كان كافيًا بالنسبة لي، عشنا سنواتنا الأولى بسعادة، وكنا نرى العالم بألوان وردية، أنجبت منه ثلاثة أطفال، فتاتين وشابًا، كنت أمًا فخورة بهم، وكنت أشعر أن حياتي اكتملت لكن الحياة كما تعلمون، لا تدوم على حال، ففي عام 2011، ومع بدء الحرب في سوريا، انقلب كل شيء

النزوح والشتاء القاسي

لم يكن النزوح قرارًا سهلًا، ففي تلك الليلة الباردة من الشتاء، كان الثلج يهطل علينا بلا رحمة، اضطررنا لمغادرة منزلنا وقريتنا، كنا نسير في الظلام، نحمل ما استطعنا من أغراض قليلة، ونبحث عن مأوى، وعندها وجدنا أنفسنا في بستان مهجور، نعيش مع خمسين شخصًا آخرين تحت سقف واحد

الظروف كانت قاسية، البرد كان ينهش عظامنا، والطعام شحيح، ولا يوجد أي شعور بالأمان، كنت أنظر إلى وجوه أطفالي ولا أملك إلا الدموع التي أخفيها عنهم، لكن الأسوأ من البرد والجوع كان الفقدان الداخلي...وهو الشعور بأنك لم تعد تملك شيئًا

مع مرور الأيام، بدأت المشاكل تتفاقم، الضغوط النفسية والمادية بدأت تترك آثارها على علاقتي بزوجي، كان التوتر يملأ الأجواء، وبدأت المشاكل بيننا تكبر، لم يكن الأمر سهلاً؛ كنا دائمًا نحب بعضنا، لكن النزوح وعدم الاستقرار جعلا الحياة شبه مستحيل

وفي وسط هذه الفوضى، اتخذت قرارًا يؤلمني حتى يومنا هذا، حيث أنني قمت بتزويج ابنتي الكبرى وهي في السادسة عشرة من عمرها، لم يكن القرار نابعًا من قناعة، بل من ضغوط الحياة، كان الشعور بالندم يأكل قلبي كل يوم، لكنني لم أكن أملك الخيار في تلك اللحظة

رغم كل تلك الصعوبات، لم أستسلم، كنت أعلم أنني بحاجة إلى الوقوف مجددًا على قدمي، ليس من أجلي فقط، بل من أجل أطفالي، عدت إلى ما أعرفه جيدًا، وهو الكروشيه، كانت هذه المرة مختلفة، فقد أصبحت أبحث عن العمل لا عن الهواية، بدأت أصنع القطع الصغيرة وأبيعها بما أستطيع

وفي أحد الأيام، كنت أبحث عن فرصة عمل عندما سمعت عن مبادرة تدعى كبكوبة و حكاية والتي كانت تعمل على دعم النساء في المجتمعات المهمشة، وتقديم المساعدة لهن لبدء مشاريعهن الصغيرة، تقدمت بطلب للانضمام، ولم يمض وقت طويل حتى أصبحت جزءًا من هذه المبادرة

كبكوبة وحكاية وخيوط الدعم والسلام

عندما التحقت بمبادرة كبكوبة وحكاية، لم أكن أعرف حجم التغيير الذي سيحدث في حياتي، في البداية، ظننت أن الأمر مجرد فرصة صغيرة للعمل وتعلم مهارات جديدة، لكن ما حصلت عليه كان أعمق بكثير من ذلك فهذه المبادرة لم تكن مجرد مبادرة لتعليم النساء الحرف اليدوية، بل كانت بمثابة شبكة دعم نفسي واجتماعي، شيء يشبه الأسرة الجديدة التي تجمع بين الأمل والمساندة

في أول يوم لي مع كبكوبة وحكاية، كان قلبي مثقلًا بالهموم، كنت أعيش ظروفًا صعبة بعد النزوح، والمشاكل العائلية كانت تسيطر على كل لحظة في حياتي، كنت أشعر بالضياع، وكأنني في متاهة بلا مخرج، لكن عندما التقيت بالمجموعة، وجدت أنني لست وحدي، كل امرأة هناك كانت تحمل قصة مختلفة، لكنها تشترك في نفس المعاناة، كنا جميعًا نبحث عن منفذ، عن شيء يعيد إلينا الإحساس بالأمان والاستقرار

أول ما قدمته لي كبكوبة وحكاية كان الاستماع، حيث أنني كنت أحتاج إلى شخص يسمعني، يفهم ما مررت به، كان الجميع هناك يتفهمون جيدًا معنى النزوح، ومعنى أن تفقد كل شيء، شعرت بأنني قادرة على التعبير عن مشاعري دون خوف من الحكم أو الانتقاد

أكثر ما أدهشني في كبكوبة وحكاية هو الاهتمام بالدعم النفسي للنساء، لم يكن مجرد دعم مادي أو تدريبي، بل كان هناك فريق مختص يساعد النساء على التعامل مع الضغوط النفسية التي يمررن بها، جلسات الدعم الجماعي كانت كالعلاج، نتحدث عن مخاوفنا، عن صعوباتنا، ونجد في نهاية كل جلسة أن الحمل أصبح أخف

كان هذا الدعم النفسي هو الأساس الذي ساعدني على إعادة بناء حياتي من جديد، بفضل هذه الجلسات، استطعت أن أواجه المشاكل العائلية التي كانت تهدد استقراري النفسي، تعلمت كيفية التعامل مع التوتر والقلق، وكيف أحتفظ بسلامي الداخلي حتى وسط الظروف الصعبة

إلى جانب الدعم النفسي، وفرت لي كبكوبة وحكاية فرصة جديدة للتعلم، رغم أنني كنت أعرف الكروشيه منذ صغري، إلا أنني طورت مهاراتي بشكل ملحوظ من خلال الدورات التدريبية التي قدمتها المبادرة، تعلمت تقنيات جديدة، وكيفية تحويل هذه المهارة إلى مصدر دخل مستدام

لم يكن الأمر مجرد كسب مال؛ كان بداية لشعور جديد بالاستقلالية والقوة، كان لدي شيء يمكنني الاعتماد عليه، شيء يمكن أن يساعدني في تحسين حياتي وحياة أسرتي
لم أكن مجرد مستفيدة من المبادرة، بل أصبحت أساهم في تعليم النساء الأخريات فن الكروشيه، بدأت أجني المال مرة أخرى، وبدأت أساعد ابنتي الصغيرة على إكمال دراستها، كان هذا حلمي الذي لم أستطع تحقيقه بنفسي، لكنني الآن أراه يتحقق في ابنتي الصغيرة

ما جعل كبكوبة وحكاية مبادرة مميزة هو هذا الشعور بالانتماء، فأنا لم أكن وحيدة في معركتي، كانت هناك عشرات النساء اللواتي يواجهن تحديات مشابهة، وكنا ندعم بعضنا البعض، كل منا كانت لها قصتها، لكننا كنا نعمل معًا كفريق واحد
هذه الوحدة أعطتني دفعة قوية، كنا نتحدث عن أحلامنا، عن المستقبل، وعن كيف يمكننا بناء شيء جديد لأنفسنا ولأطفالنا، وكنت أرى في عيونهن نفس الإصرار الذي كنت أشعر به بداخلي
كبكوبة وحكاية لم تكن مجرد مبادرة لتعليم الكروشيه، بل كانت مساحة آمنة، ومكانًا يمكن فيه للنساء أن يعيدن اكتشاف أنفسهن وقدراتهن، وجدت فيها الدعم، الأمان، والحب الذي كنت بحاجة إليه في تلك الفترة الصعبة من حياتي
بفضل هذه المبادرة، لم أعد مجرد أم تكافح لتربية أطفالها في ظل الفقر والنزوح، أصبحت رمزًا للصمود، وشعرت أنني قادرة على بناء مستقبل أفضل ليس فقط لنفسي، بل لأسرتي والمجتمع من حولي
اليوم، وأنا أكتب هذه الكلمات، أشعر بالفخر، فالفقر و الحرب والنزوح، كل ذلك لم يستطع كسر عزيمتي، أنا خولة، امرأة من الزبداني، لم أكن أملك شيئًا سوى الخيوط والإبرة، لكنني صنعت منها حياة جديدة
قصتي ليست نهاية؛ إنها بداية، فكل يوم هو فرصة جديدة لأثبت أنني أستطيع أن أصمد، أن أعيش، أن أحب، وأن أستمر

يتبع.....

كبكوبة وحكاية

A KNITTED STORY

عناوين هذه السلسلة

By: Abdulrahman abo agina

+961 71 986 040

https://knitted-story.com/

a.knitted.story@gmail.com

Almarj - West Bekaa - Lebanon